عاما لا حقيقة لكن المذكور في الصحاح ان العبادة الطاعة ولا يتوجه فيما ذكر والجواب ان تعالى المراد فيه
غاية الخضوع الظاهري وهو السجود ونحوه ... بالجميع وهي المأمور به اي المعونة الاعانة كما ذكر في
الصحاح وهي تحصيل ما تحصل به الفعل وفي عبارته توسع لان اقتدار الفاعل مثلا ليس بعين المعونة بل تحصله
معونة وفي العبارة ان تعالى وهي اما تحصيل امر ضروري والضروري ما لا يتأتى الفعل بدونه والضرورية تحصيل
ما لا يتيسر فلفظ التحصيل ههنا مقدر بقرينة قوله وغير الضرورية تحصيل ما تيسر والاداة تفعل بها فانها
هذا الشيء ضروري في مطلق الفعل وانما هو في فعل يكون في مادة فتأمل وعند استجماعها يوصف المكلف بالاستطاعة
ويصح ان يكلف بالفعل ظاهر العبارة دالة على ان صحة التكليف لا يكون الا مع الاستطاعة وفيه ما مر ان ...
انه يصح عند اهل السنة التكليف بما ليس فلا يشترط في صحة التكليف الاستطاعة الا انه يجوز ان تحصل اقتدار
الفاعل وتصوره وحصول الة ومادة يفعل بها فانها لكن يحصل مانع من الفعل وفي ... تحصيل به الفعل فكيف
يوصف بالاستطاعة والجواب عنه بان الممنوع من الفعل غير قادر على الفعل لان القدرة مع الفعل لا قبله
كما صرح به المواقف وفيه نظر لان التسمية ... مشعرة بعدم القدرة على الفعل لانه حال وعند استجماعها اي
القدرة مع غيرها ... ان يكلف في الاولى ان تعالى استجماعها يقع الفعل ويمكن ان تعالى مراده من الاقتدار حصول
القدرة ومن الاستطاعة امكان حصول الفعل عند عدم المانع فتأمل والاهتمام به هذا ابراز
على ان مجرد الاهتمام نكتة مستقلة غير التعظيم والحصر وليس كذلك بل الاهتمام لابد ان يكون بطريق معين من الطرق
المعتبرة والائمة يكن قال المحققون ومنهم الشيخ عبد القاهر لا يكفي ان تعالى تقديم الشيء للاهتمام به بل لابد من
بيان وجه الاهمية في العبارة ان تعالى الاهتمام وهو اما للتعظيم او الحصر لعلها تعمل بركتها
اذ قد يكون مع الجماعة من يستجاب دعوته والكريم اذا اعطى الواحد من الجماعة السائلين لا يمتنع من عطاء
للباقين كيف وهو اكرم الاكرمين ولو لكن نفضل ما حكاه الله تعالى عن حبيبه اي لاجل انه يجب ان يكون نظر
العابد الى المعبود اولا وبالذات فضل ما حكاه الله عن حبيبه صلى الله عليه وسلم وهو قوله للصديق ان الله معنا
على ما حكاه الله تعالى عن كليمه وهو قوله عليه السلام ان معي ربي سيهدين فان في قول الحبيب ذكر الله تعالى مقدم
على غيره بخلاف قول الكليم فان ذكره مؤخر عما ذكره تعالى وتوضيح المقام انه لما كان الله مقدما في كلام
الحبيب اشعر بانه المقصود بالذات وما يجيء بعده ملتفت اليه من حيث انه تابع له ومنتسب اليه واما كلام

٢٦

واما كلام الكليم فلما لم يكن ذكر الله فيه مقدما لم يكن فيه اشعار بما ذكرنا للتنصيص على انه المستعان به
لا غير اذ لو لم يكرر لاحتمل ان يكون المقدر ونستعين بك ويمكن ان تعالى لو لم يكرر لم يعلم اختصاص العبادة
ولا الاستعانة على انه المستعان به لا غير فانه لو لم يكرر لربما توهم الاختصاص بمجموع العبادة والاستعانة
لا لكل واحد منهما واذا ذكر كان نصا في ان كل واحد منهما مختص ولا يخفى ان فيه اشعار بترجيح التعظيم والمتكلم
سبيله الخطاب معه ادعى الى الاجابة فان قيل هذه العبارة تدل على ان المقصود من العبادة
تحصيل الحاجات لانه جعلها وسيلة لتحصيل الحاجات وقال بعض المحققين المرتبة الكاملة للعباد ان تعبد
الله لا لاجل حصول حاجة وطلب شيء بل لانه يستحق لان يعبد ولهذا امر عليه الصلوة والسلام المصلي ان يقول
اصلي لله ولو قال اصلي للثواب لبطلت صلوته قلنا المقصود ههنا ان من كان طالبا للحاجات الدنيوية
والاخروية من حصول الثواب والهرب من العقاب وجب عليه ان يقدم العبادة على الاستعانة واما غيره
وهو من يعبد الله لله تعالى لا لينال ثواب فيقدم العبادة لطلب الاعانة عليها واستمرارها فكانت
العبادة مقصودة بالذات واما ما قاله بعض المحققين فالمقصود منه انه لابد ان تكون العبادة لا لاجل
الثواب وهو لا ينافي ان يكون وسيلة الى الاستعانة على استمرارها لا من حيث انها عبادة صدرت
منه من حيث انها نسبة شريفة الى الله لانه لما قدم ظهر انه المقصود بالذات لا غير فيكون كلما تعلق يكون مقصودا
بالذات من حيث تعلقه به لا من حيثية اخرى وقيل الواو للحال ههنا سؤال مشهور وهو ان المضارع
المثبت بمنزلة اسم الفاعل ولا يجيء الواو عليه لكن قال الرضي وقد سمع قمت واصك وجهه وذلك اما لانها
جملة وان شابهت المفرد واما لانها بتقدير وانا اصك وجهه ولضعف دخول الواو على المضارع قال وقيل
والهداية دلالة بلطف اي دلالة ملتبسة به هذه العبارة تحتمل وجهين احدهما ان يكون الدلالة
الموصلة الى المطلوب والثاني الدلالة على ما يوصل الى المطلوب صرح الشريف العلامة بورود الهداية لهذين المعنيين
في حاشيته المطالع وان قيل حال الاولى في الاية الحمل على المعنى الاول فان الغرض الاصلي هو الوصول الى المطلوب
لا ادراك ما يوصل اليه لا يقال الهداية ههنا يتعلق بالصراط المستقيم الذي هو ملة الاسلام وهو ليس المطلوب
الاصلي الذي هو الفوز بالثواب والنجاة من العقاب لانا نقول كون الفوز بالثواب غرضا اصليا
لا ينافي كون ملة الاسلام مطلوبا بالذات بل يستلزم كونها مطلوبة اذ هي اي ملة الاسلام وسيلة الى الفوز

Copyright © King Saud University